مجلة الإحياء، المجلد: 19، العدد: 22، سبتمبر 2019، ص - ص: 731 - 750
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

دور الكفاءات في تطوير المناهج التعليمية لتحليل النص الأدبي (دراسة نقدية تحليلية)

The Role of Competencies in Developing Educational Curricula for Analysis of Literary Text (Analytical Critical Study)

****

طالب الدكتوراه: جمال سايحي
Djamalsaihi111@gmail.com
مخبر المتخيل الشفوي وحضارات المشافهة والكتابة والصورة
كلية اللغة والأدب العربي والفنون - جامعة باتنة1

تاريخ الإرسال: 2019/06/30 **تاريخ القبول: 2019/07/09**

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز أهمية الكفاءات في العملية التعليمية لتحليل النصوص الأدبية، باعتبار المناهج التعليمية والكفاءات الذهنية واللغوية أداة منظارية يتخذها المتعلم لتمكنه من سبر أغوار النص الأدبي وتفجير مكنوناته، باعتبار هذا الأخير شبكة من العلاقات الداخلية - على حد تعبير البنيويين - ومن ثم يصل المتعلم إلى العملية الهدف بالكشف عن الجماليات التي كانت مخبوءة في النص، لذلك فإن تعليمية النص الأدبي تتخذ النص الأدبي وتعتبره شكلا من أشكال التبئير الذي يمثل المحور الذي يتم الاشتغال فيه والتركيز عليه، ذالك أن الدراسات اللسانية المعاصرة تعتبر النص الأدبي بنية مغلقة ومكتفية بذاتها ومنفصلة عن السياقات الخارجية، وتحقق لنفسها مجاوزة حدود المؤلف (موت المؤلف) على حد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعبير رولان بارت، وعليه، فإن تعليمية النص الأدبي تعود إلى حقل المناهج النقدية لتستعير الوسيلة المثلى لتفجير النص وكشف الجوانب الجمالية المنطوية فيه. كما تهدف الدراسة أيضا إلى الوقوف على أهم الأسباب والحلول الممكنة والمقترحة من أجل تطوير الملكات والكفاءات البشرية، وإلى الوقوف على الوسائط التي لابد من اتخاذها لإنجاح تطوير الكفاءات الإنسانية بصفة عامة، والكفاءات اللغوية والتعليمية في المؤسسات التعليمية على وجه الخصوص، و ستتخذ هذه الدراسة المنهج الوصفي الذي يجمع بين التحليل والمقارنة بين الكفاءات البشرية والتعليمية.

وانطلاقا من هذه الديباجة فإن الدراسة تطرح الإشكالات الآتية:

ـ ما هي أهمية الكفاءات التعليمية في مقاربة النصوص وتحليلها ؟ وما هي العلاقة التي تربط بين النص والكفاءة ؟ وهل بإمكاننا أن نصل إلى رؤية جديدة تجمع بين المناهج الأصيلة والمستعارة ونكيفها حسب ما تملي به العملية التعليمية في المؤسسات التعليمية ؟

الكلمات المفتاحية: منهج نقدي؛ نص أدبي؛ تعليمية؛ كفاءات؛ تكامل معرفي.

Summary:

The purpose of this study is to highlight the importance of competencies in the educational process to analyze literary texts, considering the educational curricula and mental and linguistic skills as a tool of the perspective taken by the learner to enable him to explore the literary texts and detonate his machines, as the latter network of internal relations in the words of structuralists and then reach the learner The objective process is to reveal the aesthetics that were hidden in the text. Therefore, the teaching of the literary text takes the literary text and considers it to be a form of enlightenment, which represents the axis in which the work is focused, In the words of Roland Barthes, the teaching of the literary text goes back to the field of monetary curricula to borrow the best means to blow up the

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

text and reveal the aesthetic aspects. Including. The study also aims to identify the most important reasons and possible solutions proposed for the development of queens and human competencies, and to identify the media that must be taken for the success of the development of human competencies in general, and language and educational competencies in educational institutions in particular, Which combines analysis and comparison between human and educational competencies.

Based on this preamble, the study raises the following problems:

What is the importance of educational competencies in textual analysis and analysis? What is the relationship between text and efficiency? Can we reach a new vision that combines the original and borrowed curricula and adapt them as dictated by the educational process in the educational institutions?

Keywords: Critical Approach; Literary Text; Educational;, Competencies;, Knowledge Integration.

تمهيد:

يتميز العالم المعاصر بمواصفات جعلته يتسم بسرعة التحولات وكثرة الاختراعات والاكتشافات، وهذا الأمر جعل العقل البشري يعيد تفكيره في تطوير المهارات التي اكتسبها، من أجل مواكبة وسائط الاتصال الحديثة والتكنولوجيا المعاصرة، وهذه المهارات المكتسبة عملية تتم داخل الفرد من خلال مكونين رئيسيين هما: **أ-** العقل. **ب-** النفس.

فالعقل يتفاعل مع الحواس من خلال العالم الخارجي (البيئة)، لأن البيئة تحدث مثيرات للعقل فيستجيب هذا الأخير لها، ويتأثر بها "ويقوم الإنسان بعمليات عقلية أبرزها: التفكير القياسي بنوعيه الاستنتاجي والاستقرائي، والتفكير الناقد، والتفكير الإبداعي (الابتكاري)، والتفكير الحدسي، وغيرها من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أنواع التفكير التي تتضمن مهارات عقلية متعددة، كالتفسير والتحليل والتركيب والتقويم"[1].

ومن هذا المنطلق فإن المهارات تتطور عن طريق التفاعل بين العقل بوصفه شيئا ماديا وأداة عجيبة أودعها الله عز وجل في الكائن البشري وبين الحواس الخارجية التي تتأثر بالبيئة التي تحيط بها، ولا يمكن تطوير المهارات بعيدا عن هذين الأمرين بحال من الأحوال.

ومن جهة أخرى فإن تطوير الموارد البشرية باكتسابها للمهارات والخبرات لا يمكن أن يحدث ذلك في معزل عن النفس البشرية، باعتبارها عالما معنويا معقدا ترتبط بالتفكير الماورائي والعالم الغيبي.

ومن ثم فإن تحصيل الكفاءة اللغوية وتنمية المهارات المكتسبة كل ذلك يتم عن طريق التفاعل بين العقل والنفس، وبين الحواس والعالم الخارجي بوجه عام. وإن النص الأدبي المعاصر يتطلب من القارئ جهدا إضافيا ليتمكن من الكشف عن الدلالات المخبوءة وراء بنياته وضمن مستوياته الثلاثة: الصوتي والصرفي والدلالي، ولا يتحقق هذا الجهد الإضافي إلا عن طريق تطوير المهارات المكتسبة التي يتخذها القارئ وسيلة للوصول إلى عملية الفهم والتفسير، ثم إلى الوقوف على أشكال التبئير والتأويل.

ولم يكن النص الأدبي بعيدا عن وسائل التواصل الحديثة والتكنولوجيا المعاصرة، ويمكننا القول: إن النص الأدبي انتقل من المشافهة إلى حضارة الكتابة، ومن الكتابة الورقية إلى حضارة الكتابة الرقمية، فأصبح عالم الإنترنت الافتراضي هو المهيمن على الحضارات التي رافقت النصوص منذ العصور المتوالية إلى مطلع القرن الواحد والعشرين.

وقد ساهم النص الأدبي المعاصر في تطوير الكفاءات اللغوية، باعتباره وحدة زئبقية معقدة لا تنتهي إلى نتيجة حتمية نهائية، فظهر مصطلح المقاربة النصية الذي يمكن أن نعتبره آلية من الآليات الموجهة لتنشيط العملية الإبداعية، باعتبار النص الأدبي بنية كبرى تظهر في مختلف المستويات اللغوية والبنائية والفكرية والأدبية والاجتماعية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولا: مفهوم الكفاءات في العملية التعليمية

1- الكفاءات البشرية واللغوية:

لقد أسهمت الوسائل التكنولوجية الحديثة في رقي العملية التعليمية، ودفعتها إلى تجاوز النظرة التقليدية القائمة على تكوين الفرد المتعلم عن طريق تزويد فكره بمعارف مختلفة، باعتبار عقل المتعلم خزانا للمعارف، أما النظرة المعاصرة فإنها تعتبر المتعلم فردا يتمتع بكفاءة قبلية تساعده على تجاوز مرحلة الاستهلاك إلى مرحلة الإنتاج، فتجعله يتفاعل مع أقطاب العملية التعليمية، وحينها يتحقق الخروج من الركود والجمود إلى عالم التفاعل والإنتاج والابتكار. ويصعب أن نضع تعريفا محددا للكفاءة في مفهومها العام خاصة مع هذا الانفجار المعرفي والتقدم التكنولوجي، وأغلب التعاريف التي تناولت الكفاءات جعلت لها أبعادا ثلاثة هي:

أ- المعارف (Savoirs).

ب- المعارف العملية (Savoir-Faire).

ج- معارف التحلي أو المعارف السلوكية (Savoirs-Etre).

وعليه، فإن الكفاءة هي: "القدرة على تنفيذ مجموعة مهام محددة، وهي قابلة للقياس والملاحظة في النشاط، وبشكل أوسع الكفاءة هي استعداد لتجنيد وتجميع ووضع الموارد (المعارف، المعارف العلمية، معارف التحلي) في العمل، والكفاءة لا تظهر إلا أثناء العمل"[2].

والكفاءة ترتبط بعدة مؤشرات ومؤهلات تتحكم فيها وتسهم في تنميتها وتطويرها، لذلك فإن (Caird) يربط الكفاءة بالمتغيرات النفسية والمهارة والمعرفة والأداء، ومن ثم فإن هذه العوامل حينما تجتمع مع بعضها ينتج عنها السلوك الناجح، ويمثل (Caird) لها بالخطاطة الآتية[3]:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

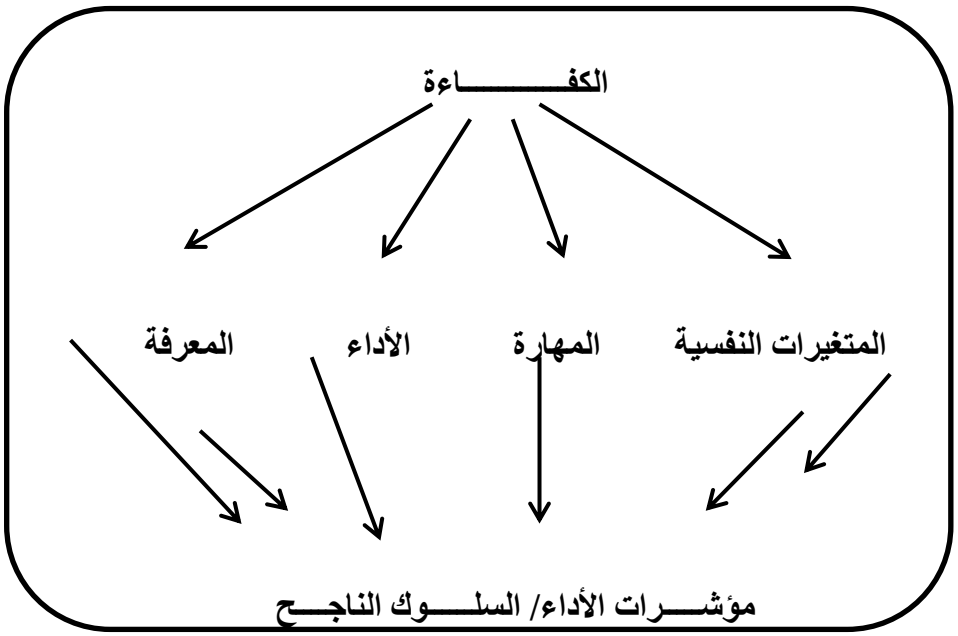

هذا عن الكفاءة بصورة عامة، أما إذا حصرنا الكفاءة في الحقل اللغوي، فإن الأداة الأولى التي يتخذها الدارس للنص الأدبي هي اللغة، فهو ينطلق من اللغة وينتهي في تحليله وفك شفرات النص إلى اللغة، ولا يمكن البتة للقارئ المعاصر أن يكشف عن جماليات النصوص، ويغوص في أعماقها ثم يفككها ويعيد بناءها في ثوب جديد إلا إذا كان ذا كفاءة لغوية تجعله ماهرا بمداعبة النص الأدبي المعاصر.

والكفاءة اللغوية تمكن أحد أقطاب العملية التعليمية الذي هو المتعلم من تحويل لغة النص إلى مادة للعمل الإبداعي، لأن النص المعاصر يتجاوز مرحلة كونه نصا سمعيا إلى بلوغه حدا يمكن اعتباره نصا بصريا تتفاعل معه الحواس الخارجية، فتجعله بعد ذلك يتجاوز الفهم الحرفي والسطحي إلى الوقوف على أبعاد اللغة ووظائفها المتعددة؛ الصوتية، البصرية، الدلالية، التواصلية، على حد تعبير رومان جاكوبسون، عند حديثه عن وظائف اللغة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2- المهارات اللغوية:

وتتحقق الكفاءة اللغوية عن طريق اكتساب الطالب لمهارات تجعله يتواصل مع النص تواصلا معرفيا، ويمكنه من توسيع ثقافته وقدرته التعبيرية، ذلك أن مهارات التواصل المعرفي في النص تهدف "إلى توسيع ثقافة الطالب ورفع قدرته التعبيرية، وزيادة ثروته اللفظية، ومساعدته على استخدام العبارة المناسبة المؤدية للدلالة الصحيحة، كما تهدف إلى تنمية مهارة التفكير، وبناء الأفكار بناء منطقيا، وتنمية مهارة الحوار وعرض الآراء"[4].

ونجد تقاربا بين مفهوم المهارات اللغوية في الدراسات المعاصرة وبين مفهومها في الدراسات القديمة، حيث يعبر العلامة ابن خلدون عن المهارات اللغوية بـ "ملكة اللسان"، ويربط في ذلك بين الاستعدادات الفطرية والنفسية للإنسان وبين التراكيب اللفظية التي تشكل البناء الهندسي والجمالي للنص، حيث يقول: "اعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني، وجودتها وتصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التركيب".[5]

وتلتقي النظرة الخلدونية في المهارات بمفهوم المهارات اللسانية واللغوية الحديثة، ذلك أن هذه الأخيرة في المفهوم المعاصر هي: "شيء يمكن تعلمه أو اكتسابه أو تكوينه لدى المتعلم، عن طريق المحاكاة والتدريب، وما يتعلمه يختلف باختلاف نوع المادة وطبيعتها وخصائصها والهدف من تعلمها".[6]

3- أقسام المهارات اللغوية:

تنقسم المهارات اللغوية إلى أربعة أقسام، هي: مهارة الاستماع، مهارة المحادثة، مهارة القراءة، مهارة الكتابة[7].

ويتعلق بهذه الورقة البحثية المهارتان الأخيرتان (مهارة القراءة، ومهارة الكتابة)، مهارة القراءة هي عملية عقلية تهدف إلى تفسير الرموز

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والحروف والكلمات، والتفاعل مع ما يقرأ، فيقوم القارئ بالتحليل والنقد والمقارنة والاستنتاج.

وعلى هذا الأساس فإن قراءة النصوص المعاصرة لابد أن تجتمع فيها القراءة الأفقية (السطحية) والقراءة العمودية (العميقة)، ومن ثم فإن القارئ يتخذ الأداة المنهجية المناسبة للنص من أجل فك شفراته والوصول إلى دلالاته الغائية على حد تعبير البنيويين، ذلك أن النص عندهم يتصف ببنياته المترابطة فيما بينها، ولا يمكن فهمها إلا بتفجير شبكة علاقاته الداخلية، وإن البنية التي يتكون منها النص تتحكم في ذاتها، والنص يتصف بالكلية والشمولية، فلا تتوقف دلالاته عند المفردات المعجمية بل تتعدى ذلك إلى الدلالة الكلية والغائية.

وهنا نريد أن نتساءل عن القدرات التي يمتلكها طلاب الثقافة العربية هل هي متوافقة مع التغيرات الحثيثة التي تواكب القرن الواحد والعشرين؟ وهل الكفاءات العقلية والإدارية التي توظفها المؤسسات التعليمية قد حققت ما يتطلبه العالم في ظل التحديات التي أفرزتها العولمة والتقدم التكنولوجي الحديث؟

إذا بحثنا عن الجواب عن هذه التساؤلات التي تطرح نفسها في مجال البحث العلمي فإننا نجد هذا الجواب في الجوانب العلمية التي تعيشها الأمة العربية، ذلك لأنها لا تزال بعيدة عن التصدي لمتغيرات القرن الواحد والعشرين، لذا فإن البحث عن تطوير الكفاءات العلمية العربية أصبح أمرا ملحا أكثر من وقت مضى.

هذا وإن العلوم والمعارف تتكامل مع بعضها، وكل تخصص يكمل التخصص الآخر، ولتحقيق التقدم والرقي في الثقافة والفكر، وفي وسائل التكنولوجيا والتواصل الحديثة لابد من تطوير الكفاءات في مجال الثقافة والأدب، وفي مجال العلوم التجريبية المختلفة وغير ذلك من التخصصات العلمية والمعرفية.

وعلى هذا الأساس فإن الكفاءات أمر لا يتحقق بالترجي والتمني، ولا يتحقق بإلقاء محاضرات وندوات تنادي بتحقيقه، وإنما يتحقق ذلك عن طريق إصلاح المنظومة التربوية ومناهج التعليم، حتى يتلقى الطالب العلوم والمعارف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بطريقة ممنهجة تتدرج في سلم الارتقاء بالفكر وطريقة التدريس، وتشحذ الهمة في طلب الوصول إلى المكانة المثلى التي تنشدها العقول البشرية في تطلعات القرن الواحد والعشرين، وسيأتي في آخر هذه الدراسة جزئية طرح فيها الباحث حلولا لتجاوز الأزمة الراهنة التي تمر بها الأمة العربية في ضعف الكفاءات البشرية والفكرية.

4- التكامل المعرفي:

يختلف مفهوم التكامل المعرفي من حقبة زمنية إلى أخرى، فقد كان مصطلح التكامل المعرفي يعني الشمولية والموسوعية في الإلمام بمختلف العلوم والفنون، كاللغة والأدب والفلسفة والطب والفلك وغير ذلك، أما في عالم اليوم فقد أصبح التخصص في علم معين أمرا ضروريا، وليس من الميسور أن يستمسك العالم بأطراف علوم مختلفة.

وقد لاحظ اللورد البريطاني (C.P.Snow 1980-1905) في منتصف القرن العشرين الفجوة بين من يتخصص في العلوم الإنسانية، ومن يتخصص في العلوم التجريبية والتطبيقية، وحاول أن يؤسس لتكامل معرفي بين الثقافتين، «The two cultures»[8].

ذلك لأن التخصصات العلمية والفروع المعرفية تتكامل فيما بينها، وقد أدرك رواد الثقافة الأوروبية هذا الأمر، ورأوا الفجوة الحاصلة بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية، فقدموا دراسات تهدف إلى إنشاء التقارب بين هذين العلمين. والسؤال المطروح في هذا الصدد هو: إذا أصبحنا في زمن التخصصات العلمية وتنوع الفروع المعرفية، فكيف يتحقق التكامل المعرفي؟ وكيف يكون التكامل المعرفي سببا في تطوير المهارات اللغوية والكفاءات البشرية؟.

إن قضية التكامل المعرفي " قضية فكرية منهجية من حيث إنها ترتبط بالنشاط الفكري، والممارسة البحثية، وطرق التعامل مع الأفكار"[9]، ويشير رائد جميل عكاشة إلى أن لعملية التكامل المعرفي بعدان أحدهما إنتاجي والآخر استهلاكي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالتكامل في بعده الإنتاجي صورة من صور الإبداع الفكري الذي يحتاج إلى قدرات خاصة، وهذه الأخيرة تستمد قوتها من الكفاءة الشخصية والنفسية للإنسان، ومن ثم فإن المؤلف ينتهي دوره بعد الكتابة والتأليف، ويأتي بعده دور القارئ الضمني المثالي الذي يقوم بعملية التحليل والتفكيك ليصل إلى فهم النص، ثم في عملية تالية يقوم بدور الإنتاج للنص الجديد، فيتصف النص بالحياة والديمومة.

أما البعد الاستهلاكي من عملية التكامل المعرفي فإن رائد عكاشة يجعله وسيلة لفهم النص وإتباع الخطوات المنظمة في تحليله وتفكيكه، ويدخل فيه طرائق التدريس ونقل المعرفة إلى المتعلمين، ومن ثم فإن هذا البعد من التكامل المعرفي له علاقة مباشرة مع قطب المتعلم في العملية التعليمية.

وعلى هذا الأساس فإن هذين البعدين (الإنتاجي والاستهلاكي) في عملية التكامل المعرفي هما القطبان الأساسيان في تحريك العملية التعليمية، ولتطوير الكفاءات الفردية والجمعية في المجتمعات العربية لابد من إعادة النظر في محوري الإنتاج والاستهلاك في المعرفة الإنسانية، ومن ثم فإن هذا يحيلنا آليا إلى القطب الثالث من العملية التعليمية، إنه قطب المحتوى الدراسي باعتباره الوعاء الذي يحوي المعلومات والمعارف التي يتلقاها المتعلم في العملية التعليمية.

وبناء على ما تقدم فإن المتغيرات التي يشهدها العالم المعاصر تستوجب علينا أن نعيد النظر في طرائق التدريس التي تعتمد عليها المؤسسات التربوية والجامعات الحكومية والخاصة في العلم العربي، خاصة وأننا أمام زمن الحداثة الأدبية والعلمية وتحديات العولمة الاقتصادية والثقافية، ولتحقيق هذه الغاية التي نحن بصددها فإن (بوير Ernestl. Boyer) صنف العمل العلمي من حيث الإنتاج والاستهلاك في أربعة مجالات:

الأول: الاكتشاف، وهو ما يوافق الجهود المعرفية في إجراءات البحث في حقول معرفية معينة.

الثاني: التطبيق، وهو التأمل في إمكانية الاستعمال العملي للمعرفة المكتشفة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الثالث: التعليم، وهو نقل المعرفة وتوريثها من جيل إلى الجيل الذي يليه.

الرابع: التكامل بوصفه نشاطا يتم فيه دمج التركيب في المعنى، وهو المجال الذي يعطي العمل العلمي في مجالاته الثلاثة السابقة معانيه ودلالاته في الواقع، ويعقب على ذلك بتأكيد طبيعة التكامل وأهميته بقوله: "إنه من خلال التكامل فقط يصبح البحث جديرا بالثقة"[10].

ثانيا: علاقة المنهج العلمي بالنص الأدبي في العملية التعليمية

لقد تحدثنا في القسم الأول من هذه الورقة البحثية عن الكفاءات البشرية والمهارات اللغوية، باعتبارها ركيزة أساسية في العملية التعليمية، وبها يمكن تطوير المناهج التعليمية، ذلك لأنها تدور في ثلاثة مجالات رئيسية عامة "هي المجال المعرفي والمجال الوجداني والمجال المهاري"[11].

وفي هذا القسم من البحث يتناول فيه الباحث المنهج العلمي ودوره في تفكيك النص الأدبي وتحليل جزئياته، ذلك لأن النص الأدبي المعاصر الذي رافق الحداثة وما بعد الحداثة يتصف بغموض معانيه وسهولة ألفاظه ومبانيه، ولا يمكن البتة أن يصل القارئ إلى الأنساق المضمرة التي تنطوي وراءها الدلالات والإيحاءات الخفية من النص إلا بإتباع منهج علمي واتخاذ أداة نقدية تمكنه من كشف ما وراء الأنساق الثقافية التي يضمرها النص الأدبي المعاصر.

إن الساحة الأدبية المعاصرة طرحت مناهج نقدية متعددة فرضت هذه الأخيرة نفسها على الثقافة العالمية وحتى العربية قرابة قرن من الزمن، ابتداء بالمنهج البنيوي ثم السيميائي والأسلوبي، ثم أعقبها منهج التفكيك الذي فرض نفسه مطلع الربع الأخير من القرن العشرين، حينما طرح دريدا فلسفته التفكيكية في المنظومة السياسية والاقتصادية والثقافية، وفي مطلع القرن الواحد والعشرين تبنى الناقد السعودي عبد الله الغذامي منهجا نقديا معاصرا وطرحه في الساحة النقدية العربية، واعتبره بديلا عن النقد الأدبي التقليدي، وأسمى منهجه النقدي ب "النقد الثقافي".

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولا يختلف اثنان في أن النص هو الذي يتطلب المنهج النقدي الذي يتناسب معه وليس العكس، إذ لا يمكن بحال من الأحوال أن يقحم المحلل للنص الأدبي منهجا نقديا على نص ما بطريقة تعسفية، ومن ثم فإن الدعوى بتفضيل منهج نقدي على غيره من المناهج باطلة، ونصل إلى نتيجة مفادها أن العلاقة بين المناهج النقدية الحديثة والمعاصرة هي علاقة تكامل وانسجام لا علاقة تنافر وتضاد.

وعلى هذا الأساس فإن الكفاءة اللغوية والقدرات المعرفية والمهارات المكتسبة في العملية التعليمية تدفع إلى تطوير العملية النقدية في تحليل النصوص المعاصرة، وتمكن الطالب من إدراك العلاقة التي تربط المنهج النقدي بالنص المعاصر، ومن ثم فإنه يختار المنهج (باعتباره الوسيلة والأداة) الذي يتناسب مع النص (باعتباره محل الاشتغال) أثناء القيام بعملية تحليل بنياته وتفكيك شفراته، من أجل الوصول إلى الغاية وهي كشف القناع عن الجماليات التي يحملها النص، وكذا القبحيات التي تضمرها الأنساق الثقافية على حد تعبير عبد الله الغذامي.

1- المنهج العلمي والتطور المعرفي:

عرف الإنسان المنهج العلمي منذ أن أسس لمبادئ البحث والمعرفة، لأن كل عمل يبدأ من غير برمجة ولا رسم منطلقات ينطلق منها، وغايات ونتائج ينتهي إليها فإنه سينتهي حتما إلى الفشل، أو على الأقل سيصل إلى نتيجة يمكن أن توصف بالتشتت والتفكك وضآلة النفع والمردود.

وإن وسائل التواصل الحديثة دفعت الإنسان إلى البحث الجاد في مجال المنهج العلمي، فتعددت المناهج وتنوعت الرؤى نحو الطرائق التي يسلكها الباحث في الوصول إلى نتائج بحثه، ذلك أن نظام العولمة الجديد نقل الفكر الإنساني "من مفهوم الدولة القومية إلى مفهوم الدولة العالمية"[(12)]، وهذا المفهوم الجديد نتج عن طريق التبادل الثقافي بين الأمم والشعوب، فتفاعلت الثقافات والحضارات مع بعضها في ظل موازين وقوى تاريخية واجتماعية معينة، يقول منير بعلبكي: "التثاقف هو تبادل ثقافي بين شعوب مختلفة،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبخاصة تعديلات تطرأ على ثقافة بدائية نتيجة لاحتكاكها بمجتمع أكثر تقدما".[13]

2- القلق المعرفي والاضطراب المنهجي:

عرفت المعرفة العربية تقهقرا في جميع مجالاتها، فراحت تبحث عن إيجاد حلول تمكنها من الخروج من التيه الذي عانت منه طيلة قرون، فكان لزاما على الباحثين العرب أن يبحثوا في العلوم الوافدة من الحضارات الراقية والمتقدمة على الفكر العربي، وفي ذلك يقول سعد البازعي في كتابه قلق المعرفة، وهو يورد مقولة للشاعر اللبناني جوزيف حرب:

فتحت في الجدار نافذة

لا كي أرى ما قد ترى عيني من الشرفة

بل كي أرى الغرفة.[14]

في هذه المقولة دلالات متعددة توحي كلها بالقلق العربي نحو المعرفة الإنسانية والبحث عن سبيل التنوير للثقافة العربية، ولا يخفى على ذوي الفكر الثاقب والعقل المنير أن المحاولات التي قدمها الباحثون العرب حققت نوعا من التقدم والتنوير للثقافة العربية، إلا أنها أفرزت اضطرابات منهجية واختلافات في الترجمة لمفاهيم المصطلحات، وتذبذب في الانسجام مع الخلفيات الفلسفية لهذه المناهج الغربية المستوردة، فظل الفكر العربي واقفا وقفة رجل حائر أمام هذه المناهج المعاصرة، ولا أدل على ذلك من عدم اكتمال النتيجة المحققة والإحاطة بالنصوص العلمية أثناء العملية الإجرائية التحليلية.

وتعد المحاولة التي قدمها عباس الجراري في مفهوم المنهج العلمي محاولة رائدة، حيث قدم فيها تصورا عميقا وشاملا لمفهوم المنهج العلمي الذي يتخذه المحلل للنص وسيلة للوصول إلى الغاية والهدف، ولذلك فهو يقسم المنهج العلمي إلى قسمين: أحدهما ظاهر ومرئي، والآخر خفي لا مرئي، يقول في ذلك: "لقد شاع أن المنهج مجرد وسيلة للبحث عن المعرفة وفحصها، أي مجرد خطة مضبوطة بمقاييس وقواعد وطرق تساعد على الوصول إلى الحقيقة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتقديم الدليل عليها، هذه مجرد أدوات إجرائية وهي في نظرنا لا تمثل إلا جانبا واحدا من المنهج أقترح تسميته بالجانب المرئي في المنهج"[15].

ويمثل الجانب المرئي والظاهر من المنهج الآليات الإجرائية التي يتخذها الباحث في دراسة النص، وقد اعتاد طلاب مدارسنا وجامعاتنا دراسة النصوص وفقا لهذا القسم من المنهج العلمي، لذلك نجد المناهج العلمية التي ظهرت مع الحداثة وما بعدها أحدثت تفاعلا إيجابيا مع البرامج الدراسية في الجامعات العربية.

أما الجانب الخفي من المنهج العلمي فإنه يمثل الخلفية الفلسفية والظروف الثقافية والاجتماعية التي أنتجته، وإن كثيرا من طلاب العلم يغيب عنهم هذا القسم من المنهج العلمي، يقول عباس الجراري: "ولكن هناك جانب آخر غير مرئي، باعتبار المنهج أولا وقبل كل شيء وعيا ينطلق من مفاهيم ومقولات وأحاسيس ذاتية، وتنتج عنه رؤية ويتولد تصور وتمثل للهدف من المعرفة، من هذين الجانبين المرئي واللا مرئي يتكون المنهج –أي منهج صحيح- من حيث هو منظومة متكاملة ومتناسقة"[16].

ويلتقي عباس الجراري مع أحمد الطريسي في هذا التقسيم للمنهج العلمي – الصحيح- في جانبيه المرئي والخفي، حيث يذهب أحمد الطريسي في كتابه، "التصور المنهجي ومستويات الإدراك في العمل الأدبي والشعري" إلى محاولة لقراءة المنهج العلمي الذي يحقق المعرفة الإنسانية ويطور الكفاءة البشرية والمهارات المكتسبة بطريقة ذات أبعاد ثلاثة هي (داخلية، خارجية، توفيقية)، وعليه، فإننا "نلاحظ أن المكونات الظاهرية لكل واحد منها تتماشى في العمق ونوعية الرؤية الخفية المؤطرة له، بحيث يستحيل الجمع مثلا بين المكونات الظاهرة لمنهج ما، والرؤية اللا مرئية لمنهج آخر، ولا توظيف الخطوات الإجرائية لمنهج معين، في إطار خلفية نظرية مرتبطة بمنهج مخالف، لما يمكن أن يتولد عن ذلك من تشويه وتلفيق بين وجهي المنهج الظاهر والخفي، والتي من المفروض أن تطبع العلاقة بينهما انسجام وتناسق تآمين، بشكل يسمح بتحقيق أنسب للأهداف والغايات المرسومة له"[17].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3- الحلول المقترحة لمجاوزة الفوضى وتطوير الكفاءات العلمية:

لقد حاول الباحثون العرب أن يتجاوزوا الفوضى الحاصلة في ميدان البحث العلمي، فأسسوا نظريات جمعوا فيها بين علوم اشتملت على الهوية العربية وتاريخها الضارب بجذوره في أعماق تاريخ الحضارة الإنسانية، وبين علوم تجريبية استقبلها العقل العربي من العالم الغربي باعتبار ذلك ضرورة حتمية أملاها التقدم الحضاري والاكتشاف التكنولوجي الذي سبق إليه العالم الغربي العالم العربي بناء على ظروف تاريخية واجتماعية متعددة.

وهذه النظريات العربية في البحث العلمي لم ترق إلى تحقيق الاستقلالية للفكر العربي، فظل هذا الأخير رهينا للثقافة الغربية المستوردة، ولا يزال العرب إلى اليوم نقله لا مبتكرون، في مجالي العلوم الإنسانية والاجتماعية، والعلوم التجريبية والتكنولوجية.

ويكمن الحل في نظر الباحث – والله أعلم- في ثلاث نقاط أساسية:

أ- دعم البحث العلمي في الجامعات العربية لتطوير الكفاءات البشرية والمهارات العلمية، وذلك برصد الغلاف المالي الكافي للقيام بالتجارب العلمية، وعقد المؤتمرات وفتح الورشات بغية الوصول إلى أفكار وثقافة جديدة، فقد أصبحنا في زمن كثرت فيه الفروع العلمية والتخصصات البحثية والمعرفية، ويعود السبق في الاكتشافات العلمية المعاصرة إلى الجامعات الأمريكية لأنها وفرت للبحث العلمي شروطه ومحفزاته، "ولقد نشر على مستوى العالم ما يربو على خمسة ملايين بحث علمي في الفترة من العام 1992 إلى العام 2002م، وهو كم بحثي هائل يعود 40 في المئة منه إلى باحثين أمريكيين"[18].

وعليه، فإن تطوير الكفاءات البشرية والمهارات العلمية مرهون بتطوير مخابر البحث العلمي ودعمها دعما ماديا ومعنويا، وذلك للرفع من مستوى البحث العلمي والبرامج والمقاييس التي تسطرها المنظومة التربوية للطلاب في المدارس ضمن الأطوار الثلاثة، وكذا طلاب الدراسات العليا في الجامعات.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب- لقد أصبح من الضروري تطوير التدابير الحالية المطبقة في العديد من مجالات الحياة في أوساط الأمة العربية، ولعل ما تدعو إليه الحاجة اليوم هو الإقرار بأن لدى العلماء في كل الميادين العلمية من غير استثناء ما يضيفونه فيما يتعلق بالفهم الأعمق للوضع البشري، كتب ج.د.بارو قائلا: "ليس ثمة نظرية تحمل في طياتها كل الحقيقة، وكل الاتساق وكل البداهة، ليس ثمة نظرية جامعة مانعة تجيب عن كل سؤال وتشفي كل غليل، إن محاولة الإحاطة بكل شيء تعني في حقيقتها الجهل بكل شيء"[19].

ج- يكمن المقترح الثالث في بعث الروح العلمية في نفوس طلاب العلم بعامة وطلاب الدراسات العليا بوجه خاص، فإن كثيرا من الأموال في العالم العربي تصرف في مجال البحث العلمي ولم تحقق مردودها، ولم يصل البحث إلى نتائجه وغاياته، فإن ما أثبته الواقع عن طريق الملاحظة أن كثيرا من البعثات العلمية من دولة إلى أخرى لا تتعدى وظيفتها مجال السياحة والاستطلاع، وقد غلب عليها الشكل على حساب المضمون، لذا فإن المسؤولية العلمية تستوجب من القائمين على مؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي إعادة النظر في طرائق المنح المالية، ومتابعة المشاريع العلمية متابعة تطبعها روح الجد والمثابرة والإخلاص في تطوير البحث العلمي ورقي الأمة العربية.

خاتمــة:

بعد هذا العرض الذي قدمه الباحث في هذه الورقة البحثية فإنه خلص إلى مجموعة من النتائج يحسن في الختام أن يورد أهمها فيما يأتي:

1- لقد كان لوسائل التواصل الحديثة الفضل في إحداث التفاعل بين الثقافات، ومن ثم فإن التفكير البشري أعاد النظر في الكفاءات والمهارات المكتسبة من أجل مواكبة التطور الحضاري المعاصر.

2- تشترك في تطوير الكفاءات البشرية ثلاثة عوامل رئيسية هي: العقل، الحواس، البيئة، بالإضافة إلى تنمية المهارات عن طريق أقطاب العملية التعليمية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3- إن العلاقة بين الكفاءات البشرية في العملية التعليمية وبين النص الأدبي المعاصر علاقة جدلية، إذ كل منهما يخدم الآخر، فالكفاءة تمكن الطالب من التحكم في آليات تفكيك النص، والنص المعاصر وحدة زئبقية تجعل المشتغل عليه ينمي خبراته ومهاراته أثناء التعامل مع تفكيك بنياته وتحليل مستوياته.

4-لقد قيل: كل امرئ مخبوء تحت لسانه، ومن هذه المقولة فإن الكفاءة لا تظهر إلا أثناء العمل، سواء كانت كفاءة بشرية أم مهارة معرفية.

5- إن العلوم والمعارف تتكامل مع بعضها خاصة ونحن في زمن طغى فيه التخصص العلمي، لذا فإن العلوم التجريبية والعلوم الإنسانية ينبغي أن تتجه نحو تحقيق التكامل المعرفي لخدمة الثقافة الإنسانية.

6- للوصول إلى تحقيق مهارة الإنتاج والاستهلاك لابد من المرور على أربع خطوات؛ الاكتشاف والتطبيق والتعليم ثم التكامل.

7-إن العلاقة بين المنهج العلمي والنص الأدبي المعاصر هي علاقة حتمية وضرورة معرفية، إذ لا يمكن تفكيك النص بعيدا عن المنهج العلمي الذي يناسبه.

8- إن المنهج العلمي يحمل في طياته وجهين: أحدهما ظاهر يمثل الأدوات الإجرائية وآليات التحليل، والثاني خفي يمثل الخلفية الفلسفية التي أنتجته.

9- حاول الباحثون العرب أن يواكبوا الثقافة الوافدة، فقاموا بطرح أفكار ونظريات في علوم مختلف مختلفة، لكنهم لم يصلوا إلى تحقيق الاستقلالية في الاختراع والابتكار في مجال الثقافات الثلاث، العلوم الإنسانية والاجتماعية والطبيعية.

10- تكمن الحلول المقترحة في تطوير الكفاءات البشرية في ثلاث نقاط: دعم البحث العلمي ماديا ومعنويا، ودفع النظريات المكتشفة إلى تحقيق التكامل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والانسجام، ثم بث الروح العلمية وتكوين الشخصية الجادة مع تحقيق المتابعة الإدارية في هذا المجال.

قائمة المصادر والمراجع:

1- فارس الأشقر: فلسفة التفكير ونظريات في التعلم والتعليم، دار زهران للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2011.

2-Luc Boyer, Noel Equilbey, organisation: théories et applications, édition d'organisation, Paris.

3- Roland Foucher, Normand Peterson, Abdelhadi Naji, Répertoire, de définitions: Notions de compétences individuelle et de compétence collective.

4- صالح معيض الغامدي: المهارات اللغوية، مكتبة الرشد، ط5، الرياض، 2018.

5- عبد الرحمان ابن خلدون: المقدمة، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، ط1، دمشق، سوريا، 2004، ج 2.

6- رحاب عبد الشافي أحمد سيد: "برنامج مقترح لتنمية المهارات"، المجلة التربوية، كلية التربية بسوهاج، جامعة جنوب الوادي، ع12، ج1، يناير، 1997.

7- ابتسام محفوظ أبو محفوظ: المهارات اللغوية، دار التدمرية، ط1، الرياض، 2017.

8-Snow.C.P, the two culture, London: cambridgeuniversity, Press, 1983.

9- رائد جميل عكاشة: التكامل المعرفي، أثره في التعليم الجامعي وضرورته الحضارية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، هرندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 2012.

10-Boyer, Ernest, Scholarshipreconsidered: priorities of professoriate, princeton, NJ: Carnegie Fondation for the Advencement of Teaching, 1990.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

11- رشدي أحمد طعيمة: المهارات اللغوية، مستوياتها، تدريسها، صعوباتها، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، مصر، 2004.

12- إبراهيم الحيدري: النقد بين الثقافة وما بعد الحداثة، دار الساقي، ط1، بيروت، لبنان، 2012.

13- منير بلعبكي: قاموس المورد، انجليزي، عربي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1994.

14- سعد البازعي: قلق المعرفة، إشكالات فكرية وثقافية، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2010.

15- عباس الجراري: خطاب المنهج، منشورات السفير، ط1، مكناس، المغرب، 1990.

16- عبد العالي بوطيب: "إشكالية المنهج في الخطاب النقدي العربي الحديث"، مجلة عالم الفكر، مج23، العددان الأول والثاني، 1994، الكويت.

17- جيروم كيغان: الثقافات الثلاث، العلوم الطبيعية والاجتماعية والإنسانيات في القرن الحادي والعشرين، ترجمة صديق محمد جوهر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2014.

18- Barrow, J.D, Theories of Everything, oxford, England: clarendonPress, 1991.

الهوامش:

(1) فارس الأشقر: فلسفة التفكير ونظريات في التعلم والتعليم، دار زهران للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2011، ص13.

(2) Luc Boyer, Noel Equilbey, organisation: théories et applications, édition d'organisation, Paris, 2003, p246.

(3) Roland Foucher, Normand Peterson, Abdelhadi Naji, Répertoire, de définitions: Notions de compétences individuelle et de compétence collective.

(4) صالح معيض الغامدي: المهارات اللغوية، مكتبة الرشد، ط5، الرياض، 2018، ص05.

(5) عبد الرحمان ابن خلدون: المقدمة، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، ط1، دمشق، سوريا، 2004، ج2، ص378.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(6) رحاب عبد الشافي أحمد سيد: "برنامج مقترح لتنمية المهارات"، المجلة التربوية، كلية التربية بسوهاج، جامعة جنوب الوادي، ع12، ج1، يناير، 1997، ص218.

(7) ابتسام محفوظ أبو محفوظ: المهارات اللغوية، دار التدمرية، ط1، الرياض، 2017، ص16.

(8) Snow.C.P, the two culture, London: cambridgeuniversity, Press, 1983.

(9) رائد جميل عكاشة: التكامل المعرفي، أثره في التعليم الجامعي وضرورته الحضارية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، هرندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 2012، ص21.

(10) Boyer, Ernest, Scholarshipreconsidered: priorities of professoriate, princeton, NJ: Carnegie Fondation for the Advencement of Teaching, 1990.

(11) رشدي أحمد طعيمة: المهارات اللغوية، مستوياتها، تدريسها، صعوباتها، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، مصر، 2004، ص05.

(12) إبراهيم الحيدري: النقد بين الثقافة وما بعد الحداثة، دار الساقي، ط1، بيروت، لبنان، 2012، ص393.

(13) منير بلعبكي: قاموس المورد، انجليزي، عربي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1994، ص24.

(14) سعد البازعي: قلق المعرفة، إشكالات فكرية وثقافية، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2010، ص139.

(15) عباس الجراري: خطاب المنهج، منشورات السفير، ط1، مكناس، المغرب، 1990، ص40-41.

(16) عباس الجراري: خطاب المنهج، ص40-41.

(17) عبد العالي بوطيب: "إشكالية المنهج في الخطاب النقدي العربي الحديث"، مجلة عالم الفكر، مج23، العددان الأول والثاني، 1994، الكويت، ص458.

(18) جيروم كيغان: الثقافات الثلاث، العلوم الطبيعية والاجتماعية والإنسانيات في القرن الحادي والعشرين، ترجمة صديق محمد جوهر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2014، ص18.

(19) Barrow, J.D, Theories of Everything, oxford, England: clarendonPress, 1991, p210.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com